معوقات الاندماج الاجتماعي لدى فئة الشباب "التائب".
قراءة سوسيونقدية لرواية " الورم

البروفيسور/ دروش فاطمة فضيلة*

ملخص:

لاحظنا من خلال ممارستنا للنقد السوسيولوجي ، اندماج الروائي الجزائري في المعطى الاجتماعي اندماجا كليا في الثمانينات من القرن المنصرم ، إلا أن هذا الاندماج بدأ يتخلله نوع من التراجع في التسعينيات حيث أعطى الروائي بعدا جديدا للكتابة يكمن في البعد الفني الإنساني أين يظهر السارد يكتب بغرض تحقيق الذات ويكتب من أجل الشفاء من أوجاع الوطن بعد يأسه من ترميم جروحه.

وظهر هذا البعد الفني على الأخص في روايات عبد الحميد بن هدوقة وروايات أحلام مستغانمي لكن جاءت أحداث العشرية السوداء لتعيده إلى الانشغال بالاجتماعي وبمشاكل الراهن فجاءت روايات مطلع الألفية الثالثة لتحاول بدورها تشريح الأوضاع وتبحث في عوامل الأزمة .

سنتناول في هذه الورقة العلمية بالدراسة معوقات اندماج الشباب أو عوامل اللاندماج باستخدام المنهج الكيفي أو القراءة السوسيونقدية لرواية محمد ساري " الورم".وذلك انطلاقا من قناعتنا بكون الإنتاج الإبداعي بكل أنواعه من شأنه أن يشكل مرجعا لفهم وتفسير الواقع الاجتماعي.

*أستاذة التعليم العالي المركز الجامعي تيبازة

1 – إشكالية الدراسة:

يوحي مفهوم الاندماج الاجتماعي إلى قراءة وضع المجتمع في مرحلة تاريخية معينة. ونتصور الاندماج معادلة ذات طرفين، فمن جهة الأفراد ودرجة شعورهم بالانتماء إلى البناء الاجتماعي الثقافي في مرحلة زمنية معينة ومجال جغرافي محدد و من جهة أخرى المجتمع وقابليته لاحتواء مختلف شرائحه بتنوعهم واختلافهم.وتتم عملية الانصهار والاحتواء بواسطة مؤسسات وآليات لعل أبرزها، العائلة، المدرسة، العمل، الفن و المواطنة. وتتأرجح هذه المعادلة نحو السلب حين تفشل المؤسسات المذكورة في تأدية وظائفها ، ويتخلخل النظام الاجتماعي وتتعرض بنيتة إلى تصدعات وهنا تتحرك الأقلام ويتوجه البحث لتحليل ظاهرة اللاندماج بدل الاندماج. وهذا ما نلاحظه في المجتمع الجزائري في العقود الأخيرة. ومن الملاحظات الدالة على بروز اللاندماج الاجتماعي نذكر:

. ارتفاع نسب الانتحار(335 حالة خلال سنة 2011)

. بروز ظاهرة الهجرة غير الشرعية أو ما يعرف " الحرقة" (موت المئات منهم قبل الوصول إلى أوروبا).

. اتساع حالة الاستياء وعدم الرضا على كل المستويات.

. توالي الاحتجاجات وتصاعد موجات الرفض. (سجلت 9000 حركة احتجاجية خلال سنة واحدة أي مابين جويلية 2010. 2011).

أليس من اللامعقول، أن يعرف مجتمعا مثل الجزائر، بتاريخها المشرف وبجغرافيتها وتضاريسها ومواردها، ظاهرة الفقر و الانتحار بسبب العوز، الهجرة ،الفراغ بكل معانيه.انتشار هذه الظواهر واضح ، يكتفي الإنسان المهتم بالقضايا الإنسانية،أن يتصفح الجرائد اليومية ، عشرات الأحداث يوميا من جرائم واعتداءات وانتحار وصرخات استغاثة.

لقد تأسست الدولة الجزائرية المعاصرة ، بفضل شباب آمن وناضل وضحى من أجل فكرة وطن مستقل وإنسان متحرر . ورغم الشروط الاجتماعية الصعبة التي كانت تمر بها المؤسسات الاجتماعية كالعائلة ، المدارس والزوايا والنوادي الثقافية إلا أن هذه المؤسسات استطاعت أن تحتوي الشباب وتدمجهم في ثقافة كانت تبدو ملامحها هشة وفعاليتها ضئيلة ونشاطاتها قليلة ، ثقافة كانت تصارع وتقاوم ثقافة دخيلة ولكنها قوية ،متمكنة وجذابة وكان لها من الجماليات كالحكايات البسيطة والأغاني الخفيفة للرقص ولكنها كانت تكفي لزرع الفرحة والاحتفال .

وتحقق الهدف بإعلان الاستقلال . ثم عرف المجتمع الجزائري على غرار المجتمعات التي انتهجت الاشتراكية نظاما اقتصاديا وسياسيا في مرحلة الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، تحولات جوهرية في بنيته ونظامه الاجتماعي، وذلك ابتداء من نهاية الثمانينات .هذه التحولات لم يكن بإمكانها أن تجري على بساط من حرير أو كما تجري المياه ، بل تعثرت أحيانا،تسارعت أحيانا أخرى،خرجت عن المألوف

والمعقول في بعض المرات حتى كادت أن تنسف بالمجتمع وما حققه من مكتسبات الاستقلال بعد ثورة ،تعد من أروع ما سجله التاريخ ،تنظيما وتضحية .

من العثرات ما تعد حركية صاحبت التغير والتطور وكانت لها انعكاسات ايجابية وظيفية على الأفراد والجماعات وأخذت صفة الاحتجاجات ، إضرابات وحركات ومنها ما أخذت صفة ثورات، وطرحت في الساحة العلمية إشكالية الحرب الأهلية ، بعد مقتل رئيس الدولة محمد بوضياف ورئيس الحكومة قاصدي مرباح وأحداث السجون وتسجيل ما يقارب200.000 ضحية .(احصائيات غير رسمية)و40000 (احصائيات رسمية)

وفي هذه الفترة الزمنية ، التحق الشباب وبالمئات بل بالآلاف بالجبال وتمردوا على الدولة والمجتمع ، لم يكن هذا السلوك تلقائيا أو بسبب إلغاء نتائج الانتخابات ، بل فعلا اجتماعيا تأسس نتيجة مسارات وتراكمات وجدت في الفعل السياسي منتجعا تعبر فيه عن رفضها من جهة وحاملة دلالات فشل البناء الاجتماعي الثقافي في الاحتواء والارتقاء.

ومنه نتساءل:

_ ما هي المسارات الاجتماعية التي أدت إلى تمرد الشباب على المجتمع في التسعينيات من القرن الماضي ؟

_ كيف عاش الشباب المتمرد انفصالهم (لا اندماجهم) الاجتماعي؟

_ هل عودة (توبة) هؤلاء الأفراد دالة على إرادتهم و قبولهم للنظام الاجتماعي السياسي ومن ثم اندماجهم الاجتماعي ؟ كيف يتعاملون مع مختلف المؤسسات الاجتماعية بعد عودتهم؟

ب . فرضيات الدراسة:

تمرد الشباب يعود إلى:

_ فشل النظام الاجتماعي بكل مؤسساته في احتوائهم . (غياب الحوار في العائلة ، و في المدرسة).

. فشل الخطاب السياسي والإعلامي في إعادة إنتاج آلياته القائمة على الشرعية التاريخية والقيم الوطنية.

_ عاشت الفئة المتمردة انفصالها بصورة مرضية وتتعامل مع المؤسسات الاجتماعية بعد عودتها بحذر وتخوف وتردد.

ولمناقشة هذه الفرضيات سنستخدم المنهج الكيفي المتمثل في سوسيولوجيا النص الأدبي(انتقاء رواية بطلها إرهابي عائد أو تائب وهي رواية الورم للروائي محمد ساري.

ج . المفاهيم والمؤشرات:

مفهومي الاندماج الاجتماعي و اللاندماج الاجتماعي.

1الاندماج الاجتماعي:وجود إرادة عند الأفراد والجماعات بإقامة نسيج اجتماعي مشترك.

تقبل أو قبول التنوع والتعدد. هدفه: تحقيق الترابط والتماسك بغرض الاستمرار والتقدم.

شروطه: وجود الفرص للانخراط في هذا النسيج.

ومنه نحدد الأبعاد والمؤشرات التالية:

الأبعاد:

أ – مؤشرات **المشاركة:** المشاركة في الممارسات الثقافية ،(في الأعراس،الأعياد الوطنية ، الأعياد الدينية)

. في المعتقد، السلم القيمي، العرف، الأمثلة الشعبية.

. في الشعور: الإحساس بالآخرين، بالمشاكل، بالأفراح والأحزان.

ب – مؤشرات **التقبل:** تقبل الأدوار الاجتماعية والمهنية. الاجتماعية (كتقبل دور الأب، الجد، الجدة، الأم، الأخ الأكبر، الأخت) اما المهنية مدير المؤسسة، المنتخبون ....

ج – **مؤشرات الترابط والتماسك:** تقاس في طبيعة العلاقة بالعائلة، بالوطن، بالأمة

أما **مفهوم اللاندماج** فيمكن أن يكون في الطرف النقيض أي وفق الثنائيات السلبية التالية:

المشاركة # اللامشاركة أو الامتناع

التقبل # الرفض أو الانسحاب

الترابط # الانفصال أو الانعزال

2- دراسات سابقة حول الشباب الجزائري في موضوعي الاندماج والانحراف الاجتماعي:

الدراسة الأولى هي للباحث كما راربو بعنوان الجزائر وشبابها ، تهميش اجتماعي . الكتاب في الأصل أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع نوقشت في باريس .وقد أجريت الدراسة الميدانية على عينة تتكون من250 شاب في الجزائر العاصمة . [1]

تساءل الباحث في إشكالية بحثه عن إمكانية الحديث عن شريحة الشباب سوسيولوجيا في بلد عربي مغاربي مثل الجزائر في مرحلة التسعينيات.كما تساءل عن العلاقات القائمة بين الدولة المهيمنة والجماعة الاجتماعية الموصوفة بالشباب . و تنطلق الدراسة من رصد التحولات العميقة التي عرفها المجتمع الجزائري داخل دائرة "البناء والهدم" في مجال القيم والمعتقدات.أهم تحول يسجله الباحث يكمن في التحول من مجتمع يمجد الماضي وينشد الحكمة إلى مجتمع يؤمن بالتطور و بالرقي نحو الأفضل .هذه الحركية تحققت بواسطة المدرسة .وهنا تتبع الباحث مراحل إقبال الجزائريين على المدرسة الكولونيالية.

هذه المراحل لخصها في مرحلة القطيعة ثم مرحلة التمدرس النسبي، حيث سجل نسبة 1.9% سنة 1890 لترتفع النسبة إلى 6 % سنة 1930.وأفرز هذا التحول ظهور شريحة المثقفين الجزائريين وهم من شباب المدن يمتهنون التعليم والصحافة والمحاماة والطب وكذلك المسرح.اقتحمت هذه الفئة الأماكن العامة

و المقاهي ، أين كانوا يتحدثون ويناقشون قضايا التكوين والتمدرس والثقافة .ومنه تبلورت ثقافة شبابية حضرية في الجزائر .دخلت هذه الثقافة الجديدة في صراع مع الثقافة التقليدية المتوارثة ومنه بروز النزعة الثورية لدى هؤلاء الشباب ،ليس فقط لمواجهة الاستعمار بل الأسرة والنظام الاجتماعي القائم الذي تصدى بدوره لهذا التغيير.

بعد الاستقلال قامت الدولة بدور الوصي والضابط والمراقب لشريحة الشباب في المدرسة ، وفي الخدمة الوطنية الإجبارية وكذا في وسط الجمعيات الشبابية التابعة للحزب الحاكم أي حزب جبهة التحرير .ثم برز في مرحلة لاحقة الإعلام ليلعب دورا رئيسيا، وخاصة التلفزيون والتقاط البرامج الأجنبية في تشكيل ثقافة جديدة ، تتطلع إلى العالمي ، وهنا عجز النسق الاجتماعي القائم على المسايرة والاستمرار وعجزت المؤسسات في ممارسة دور المراقب والضابط والموجه. وبعد تحليل المعطيات كميا وكيفيا . استنتج الباحث بعد تحليل المعطيات الميدانية ما يلي:

. أن الشباب ظاهرة حديثة ومعاصرة في الجزائر وترتبط بالأوساط الحضرية.

تعد الدولة بمثابة الأب الاجتماعي ،تقوم بتأطير الشباب وذلك بفرض ثقافة وطنية عربية إسلامية .هذا النمط يتلاءم مع الشباب المثقف والذي يوضع في خدمة الأمة والدولة .ولذلك نجد الشباب الآخر الغير مدمج في عالم الشغل ،الغير مأطر يرفض النموذج المقدم ونجده يعيش ثقافة الغضب ، هو ضد كل شيء ،المدرسة ،دور الشباب، الجمعيات ، يميل إلى فكرة "البزنسة " أو الأعمال الحرة و الربح السريع، الهجرة السرية إلى أوروبا أو ما يعرف با"الحرقة".

. وجدت هذه الفئة المهمشة في الحركة الإسلامية المنتشرة في التسعينيات منتجعا لها تصب في أوعيتها غضبها.

. استنتج في نهاية البحث أن تأطير جيل ما بعد الاستقلال عن طريق المدرسة والأيديولوجية القائمة وبواسطة الرياضة كفرجة والرياضة كنشاط عرف فشلا كليا .

وحتى أحداث أكتوبر 1988لم تؤد إلى تسطير سياسة جديدة لإدماج هذه الشريحة و كل المشاريع الإصلاحية التي تلت هذه المرحلة باءت بالفشل.

ومنه نستشف من هذه الدراسة، أن المجتمع الجزائري ريفي الأصل والطبع والثقافة وظاهرة المدن والتحضر التي فرضها الاستعمار في أول الأمر ثم مخططات التنمية بعد الاستقلال غيرت من هذا الطبع ولكن حسب الباحث فان عدم التخطيط السليم والسياسيات المتعاقبة أحدثت فوضى وغموض في مسار التحول مما جعل شريحة الشباب تتعرض للصدمات المتعاقبة .

إن هذه الدراسة غنية من حيث المعطى الميداني وكذا من حيث المنهج والتقنيات وكذا من حيث الإلمام بدور جميع المؤسسات الاجتماعية وعلاقتها بالبناء الاجتماعي ولكن الجزم بالفشل المطلق يحمل دلالة

انهيار مجتمع هو في الواقع مايزال قائما بل بالعكس ينحو نحو التنمية والرقي وتجاوز الراهن رغم وجود بعض النقاط بل الكثير من النقاط السوداء والتي تم الإشارة إليها في إشكالية الدراسة يعد حكما مسبقا وأمرا مبالغ فيه.

الدراسة الثانية هي للسوسيولوجي لهواري عدي بعنوان تحولات المجتمع الجزائري ،العائلة والروابط الاجتماعية.وصدرت كذلك بالفرنسية.[2]

تنطلق الدراسة من الأحداث العنيفة التي هزت االجزائر ابتداء من سنة 1992 والتي بدت للعالم أنها نتيجة صراعات ومواجهات بين الإسلاميين المتطرفين ونخبة علمانية حداثية بينما هي نتيجة مأزق نظام سياسي معقد مبني على التسلط والسيطرة.العمل كما يقول المؤلف يهدف إلى دراسة النسق الاجتماعي الجزائري الحضري من خلال العائلة كما يهدف إلى شرح الأسباب العميقة للأزمة العنيفة التي تضرب الجزائر . وتم استخدام التحقيقات الميدانية والاستمارات والمقابلات. كما ارتكز على العائلة لدراسة الحركية الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية مفترضا أنها مأوى الثقافة الأبيسية التي تطبع البناء الاجتماعي .

وأهم ما استنتجه الباحث ما يلي:

تتميز مرحلة (1960. 1990) أي خلال ثلاثين سنة بعد الاستقلال بالفشل في الاندماج الاجتماعي والمؤسس فقط في التمثلات الثقافية الراسخة في التراث والأساطير والمدعمة بقوة ثورة التحرير الممجدة لدماء الشهداء ،هذا الدم هو الاسمنت أو ركيزة الوحدة. [3] .

إلا أن وجود صراعات كثيرة في أي مجتمع يجعلها غير قابلة للتفكيك بالرجوع إلى التمثلات والأساطير فقط.

. هناك علاقة بين المجهول و الوسط الحضري وتصاعد التيار الاسلامي. [4]

. يعرف البناء الاجتماعي أزمة متشعبة ومتعددة الأطراف.

هذه الدراسة كسابقتها تطبع البناء الاجتماعي بالفشل في كونه عاجز عن تحقيق الاندماج الاجتماعي لاعتماده التراث الثقافي كمرجع ومبرر لاستمراره،ونعتقد أن الباحث لا ينكر طبيعة المجتمع المعاصر المنفتح على الثقافات الأخرى بواسطة آليات تقبلتها العائلة الجزائرية بقوة التقليد أو الضرورة والحاجة .

الدراسة الثالثة هي في الأصل رسالة ماجستير ،من إعداد الباحثة كريمة مكتاف بعنوان "**سوسيولوجية العنف** المسلح " [5] وهي دراسة وصفية للجماعات الإسلامية المسلحة من 1980- 2002.وقد تساءلت الباحثة في الإشكالية عن طبيعة تنظيم الجماعات الإسلامية المسلحة في الجزائر وعن الأسباب وعوامل ظهورها سياسيا واجتماعيا .

وبسبب مشكلة الحصول على البيانات من أعضاء الجماعات المسلحة أو الاتصال المباشر بهم خاصة من قبل التائبين ، لجأت إلى تقنيات بديلة تتمثل في الأشرطة الوثائقية والوثائق المكتوبة والمقالات

الصحفية مما سمح لها بتكوين مادة سوسيولوجية .أهم الأشرطة سلسلة تلفزيونية من إنتاج قناة ART بعنوان Algerie pour toujour ,Algerie mon amour وسلسلة la gloire et le croiçant حيث تم تصوير الإسلاميين ولأول مرة في الجبال. وقامت في خطوة ثانية ببناء قائمة من العناصر تتكون من 533 مبحوث يشكلون مجموع أعضاء الجماعات المسلحة غير الموقوفين أي في حالة فرار ، صدرت بحقهم قرارات اتهام من محكمة الجنايات في الفترة (1990– 2000)

وتوصلت الباحثة إلى :

. كون معظم هذه الجماعات الإسلامية المسلحة،قاعدتها العضوية تتمثل في فئة الشباب من مختلف الأعمار ومختلف المستويات الاجتماعية.

. معظم هؤلاء الشباب من فئات اجتماعية مهمشة .

العنف بكل ما يحمله من معنى وصور اغتيال و اغتصاب و ذبح، جزء لا يتجزأ من أسلوب عمل الجماعات المسلحة .

. عضوية الإمارة ،كانت تضم شباب من مختلف المستويات الاجتماعية لكنهم رغم أصولهم الريفية ولدوا وتربوا في المدن.

. قامت الجماعات الإسلامية بتكفير كل المجتمع ثم إعادة أسلمته بالسيف.

تعد هذه الدراسة رغم نقائصها خطوة جريئة ورائدة في موضوع الجماعات الإرهابية في الجزائر.هذا الموضوع وعلى الرغم من أهميته والانعكاسات الخطيرة للظاهرة في المجتمع على كل المستويات لم تنل حظها من الدراسة الأكاديمية.وقد تمكنت الباحثة من جمع مادة علمية ثرية ولكنها لم تستخدمها في التحليل بدرجة كافية .

3 – <u>عوامل الاندماج واللاندماج الاجتماعي من منظور سوسيولوجيا الرواية :</u>

أ – **العجز المؤسساتي في الاحتواء في "الورم" لمحمد ساري [6]**: ندخل مع محمد ساري عالم المجموعات الإرهابية كيف يفكرون ،من يكونون ؟ماهي الأسباب المباشرة وغير مباشرة التي دفعت بهم إلى الالتحاق بالجبال وإعلان الحرب على الدولة والمجتمع ؟

هذه المجموعة الإرهابية تنشط في قرية واد الرمان .أهم عناصرها يزيد لحرش ،الأفغاني، ،زيتوني بوشاقور والتحق بها محمد كريم ،الشخصية المحورية في هذا النص.من خلال هذه الشخصية ندرك كيف يمكن أن يتحول معلما في الثامنة والعشرين من العمر، ذا طبيعة مسالمة، يكره العنف ،يحلم بالاقتران بزميلة له أحبها وتبادله الشعور ليصبح بعد سنة إرهابيا، يقتل بكل برودة ويسعى بالإجرام إلى الحصول على مرتبة أمير مجموعة إرهابية .

تلخيص مراحل التغير في قرية وادي الرمان في أربع مراحل :

. المرحلة الأولى ،السنوات الأولى للاستقلال ،رغم الفقر إلا أن السكان كانوا ينعمون بالسعادة ، يأكلون خيرات الملك العام ويتجول الأطفال بكل حرية في المزارع العامة .

. المرحلة الثانية، سنوات بعد ذلك والتي نفترض أنها سنوات الثمانينات، . حسب سن كريم . سيطرة أثرياء على الأراضي وطرد الفلاحين وحراسة الأراضي بالأسلحة، وطرد السكان. مما خلق الحقد والغضب في نفوس الفلاحين والسكان .

أما الثالثة ،فشهدت أحداث ومظاهرات أكتوبر .وقف مخطط الترحيل والطرد مما مكن السكان من البقاء

مرحلة رابعة أي سنوات التسعينيات ،شهدت القرية سيطرة جماعة من المتمردين بالسلاح ونشر الرعب على الأحواش .يقود الجماعة يزيد الأحرش صديق كريم منذ الطفولة .

هذه المراحل الأربعة التي تلخص تاريخ القرية الجزائرية الغنية بالأراضي الخصبة والتي باتت تعاني الإهمال وشح الطبيعة منذ نهاية الثمانينيات ما تزال هدفا وحنينا يسعى مالكوه أثناء الاستعمار إلى استرجاعه .

بعد اعتقال كريم اثر توقيف المسار الانتخابي وفوز الإسلاميين تم وضعه في معتقل أهم ما يمكن استنتاجه من مؤسسة المعتقل باعتبارها مؤسسة عقابية مايلي :

. غضب وحقد سكن نفوس المعتقلين ،جراء شعورهم بالظلم والظروف الصعبة في المعتقل. *الأغلبية الساحقة اختطفوا ليلا من ديارهم وهم يتساءلون عن الجريمة التي ارتكبوها كي يزج بهم في السجون* ". (الرواية)

. تدريب المعتقلين على السلاح."*هؤلاء الطغاة .أعماهم الله .فدربوا رجالا بأعداد لا تحصى وحضر اليوم الذي سينقلب فيه هؤلاء الجنود عليهم* ." (الرواية)

. خلق قوة الشعور بالجماعة وتوحيد الصف مما جعل فكرة الجهاد تسيطر على ذهنية المعتقلين.*المبررات التي تشهرها الجماعات المسلحة لإعلان الحرب على الدولة والمجتمع أثناء فترة الاعتقال* ."

عندما خرج محمد كريم من المعتقل بعد سنة قضاها، لم يكن يسمح له بالخروج من واد الرمان ،كما أجبره وكيل الجمهورية على تسجيل حضوره كل صباح على الساعة العاشرة.

بقي في البيت معظم الوقت . يحن كثيرا إلى التدريس ،يحلم أحيانا بعودته إلى التعليم وإلى جميلة زميلته ، ومن المفترض أن تكون خطيبته ولكن يدرك بعد أيام أنه لا خيار أمامه ،هناك أمران ،إما الانعزال والمكوث في البيت أو الالتحاق بجماعة يزيد. " *النشاط السياسي الذي مارسه قبل اعتقاله لم يعد ممكنا. أمامه خياران لا ثالث لهما .الانسحاب والصمت او الالتحاق بالجماعات المسلحة في الجبال وهو الى الخيار الأول أميل* ." (الرواية).[314]"

كما أفصح علي لكريم عن نيته في الانضمام الى الجماعة بعد أن طرد من الجيش وليس في مقدوره أداء عمل آخر باستثناء تقنيات تنظيم المعارك في الميدان ."*بما أنني رجل حرب فلماذا لا أقوم بحرب حقيقية ضد السلطة المرتشية التي تحكم البلاد .إن الرجال الذين يمسكون دواليب السلطة متعفنون .ظالمون .يستغلون خيرات البلاد لأنفسهم وذويهم ... يبذرون دون أدنى تفكير.يعيشون بين قصورهم المحروسة وبين العواصم الغربية . لا يعرفون شيئا عن أوضاع البلاد التي آلت إلى الهاوية* ."(الرواية)

وفعلا التحق علي بالجماعات المسلحة .هذا ما يخبرنا به يزيد عندما هاجم بيت أحد الجنود . ويمكن تحديد العامل الرئيسي وراء التحاقه ، شعوره بالظلم ورفضه للنظام الفاسد ."*سيتحالف الناس مع الشيطان مع إسرائيل ليتخلصوا من القمع والفقر والحقرة*."(الرواية)

قضى كريم بضعة أيام في التفكير.عندما يتذكر جميلة يشعر بنوع من الأمل لكن سرعان ما يكسوه التشاؤم، إلى أن اتصلت به الجماعة في المسجد ،يخبره مرسلوها بأنه لم يعد أمامه متسع من الوقت وعليه أداء المهمة .

إن مؤسسة المسجد هي أهم المؤسسات في هذا العالم الاجتماعي ، النواة المركزية لقرية واد الرمان ،حتى أن الحياة اليومية للسكان تتلخص في الذهاب والإياب بين السوق والمسجد.

" *يقضون يومهم في ذهاب وإياب متواصلين ..مقتنعين بأن عدد الحسنات سيتضاعف كلما كانت المسافة التي يقطعونها نحو المسجد طويلة وشاقة* ."

المسجد هو الفضاء الذي يشعر فيه السكان بالحرية. "*المسجد مكان عمومي والجلوس مباح في أي مكان.*" كما يحتل المسجد مساحة كبيرة في حياة محمد كريم سواء قبل الاعتقال أو بعده . "*سيخرج سيلتحق بالمسجد* " .

وبعد خروجه من المعتقل لا يعرف مكانا آخر غيره باستثناء المقهى. ولاحظ التغيير الذي لحق بهذا الفضاء "*لم يعد المسجد مكانا للعبادة بل أضحى حلبة للمناوشات الحزبية والنقاشات العقيمة (.الرواية)*

كما استعملت الجماعات المسلحة المسجد لإعلان قوانينها. " *أمام المسجد ...تعلقت الأبصار على ورقة ملصقة على الجدار ...آتية من الجماعات الإسلامية المسلحة* ." (الرواية)وكان في الملصقة خطابا يفرض تعاليم الجماعة والتي من ضمنها ،فرض الحجاب على كل الفتيات اللائي تجاوز عمرهن العشر سنوات ،غلق كل الحمامات ،الحانات ،كما يمنع التدخين وقراءة الجرائد .وتوزيع جريدة الأنوار التي تحمل الأخبار الصحيحة عن المجاهدين .وينتهي الخطاب بالإنذار والوعيد لكل مخالف.

كما استعمل المسجد كمؤسسة اتصال ،فقد اتصلت الجماعة بكريم في المسجد لإخباره بغضب يزيد . رئيس الجماعة . منه لأنه تأخر في تأدية المهمة." *مثل المرة الأولى اتصل به داخل المسجد*."(الرواية)

ومنه نلاحظ السيطرة التامة للمسجد على حساب إمكانية تواجد مؤسسات أخرى.فهو الملجأ الوحيد ونقطة الاتصال والإعلام . ومع ذلك عندما استشار كريم إمام المسجد بعد أن صارحه بالوضعية الصعبة التي وجد نفسه أمامها والمتمثلة في قتل صديقه لأنه صحفي، وهو لم يقتنع بشرعية القتل لم يستطع الإمام توجيهه واكتفى بالقول أنه لا دخل له في السياسة ومهمته هي الصلاة بالمؤمنين وقراءة القرآن. " *أنا لا اشتغل بالسياسة .وظيفتي الأولى والأخيرة في هذا المسجد .ألقي الدروس الدينية وأؤم بالمصلين .المشاكل الأخرى لا تعنيني من قريب ولا من بعيد ."*(الرواية)

بعد تهديد بوشقاقور لكريم في المسجد وبعد ما سمعه من أخيه والمعاملة السيئة التي تلقاها وهو يمضي حضوره في السجل. " *حدق مليا في قسمات وجهه .الكلاب متشابهة* ." (الرواية) وأمام عجز الإمام عن توجيهه، زال التفكير وباشر كريم في تنفيذ العملية الموكلة له من طرف يزيد .وهكذا توجه الى بيت محمد يوسفي ، وعندما رأى جميلة في مدخل البيت انتابه نوع من الندم ولكنه تماسك ،دعاه صديقه محمد يوسفي الى العشاء فرفض ، أبعده عن البيت الى أن أحيط بعدة رجال مسلحين ،حينها وعى بخيانته ولم يكن قادرا على مواجهة نظرات محمد. وقبل تنفيذ الجريمة أعلن يزيد. "*نحن جماعة المسلمين وعملا بالشريعة الاسلامية .اتخذنا قرار إعدامك لأنك خادم الطغاة .أعداء الله والإسلام ."* وذبح محمد يوسفي بطريقة بشعة وأدرك محمد كريم حينها أن" *هذه الليلة هي الليلة الفاصلة نهائيا بين حياته الماضية وبين حياته الجديدة ..سواء رضي بها أم لا ." (الرواية)*

وهكذا تحول المعلم المسالم إلى إرهابي مجرم ،بعد أن سدت أمامه كل الأبواب إثر خروجه من المعتقل بسبب شعوره بالظلم بالإضافة إلى لاوظيفية المؤسسات التوجيهية كالمسجد وعجز الأسرة على تقديم المساعدة و المعاملة السيئة لرجال الأمن و تهديد الجماعة المسلحة .

نستخلص من هذه القراءة لعناصر الجماعة المتمردة مايلي: فشل النظام الاجتماعي بكل مؤسساته في عملية احتواء فئة الشباب وهذا ما أكدته الدراسات الميدانية التي سبق ذكرها.

. كل عناصر المجموعة من القرى المحاذية للمدن .بن شيكاو قرب المدية ،وادي الرمان بين بوفاريك والبليدة ،براقي قرب العاصمة .

. فشل أعضاء الجماعة في الدراسة باستثناء كريم وصل إلى المرحلة الثانوية ودخل معهد تكوين المعلمين.

. يعاني جل العناصر من البطالة .أما كريم، ففقد عمله بعد اعتقاله.

. يحمل كل العناصر حقد دفين وظاهر للسلطة ورجال الأمن .

. انضمامهم إلى حزب إسلامي سياسي ومشاركتهم في المسيرات الاحتجاجية .

. اثنان من العناصر مدربين على الحرب والقتال .

. باستثناء عضو واحد لا يفقه الأعضاء الآخرون في المسائل الدينية .

. يميلون إلى حياة الترف والتمتع والأكل الطيب.

ب – آليات اندماج الشباب في المجتمع :

ومما سبق يمكننا الحديث عن آليات استخدمت لإحداث الاندماج في الجزائر وأهمها هيمنة السياسي على الثقافي في كل المخططات ،مما أحدث تضارب السمات الثقافية البارزة و صعوبات في التكيف مع النمط الحضري المفروض والغير متجانس مع الطبع والسمات الثقافية المتجذرة والمترسخة والمعاد إنتاجها بواسطة مؤسسات التنشئة الاجتماعية. لا يمكنا الجزم بالفشل ولكننا نقول بفرضية الفوضى في النسيج بحيث يبدو خليط عير منسجم غير جمالي على كل المستويات.

عندما نتحدث عن الاندماج في المجتمع المعاصر فإننا نتحدث عن الإدماج المهني للشباب [7] وقد تذهب الأنظار إلى فئة المغتربين ومشكلات تكيفهم، ولكن عندما يتعلق الأمر بمجتمعاتنا العربية الإسلامية و عن فئة الشباب في دول حديثة النشأة فان الأمر يأخذ أبعادا أخرى . إذ تبدو إشكالية مسارات التغير الاجتماعي وقضايا الهوية والانتماء من القضايا التي تستدعي البحث والدراسة العلمية ولا يمكن تجاهلها وعلى هذا الأساس سعينا من وراء هذا البحث المتواضع، الكشف عن أهم معوقات الاندماج الاجتماعي لفئة من الشباب عبرت عن رفضها للواقع الاجتماعي بالتمرد على كل مؤسساته وقيمه و حركيته.

وارتأينا بعد عملية التفسير وضع بعض المقترحات انطلاقا من قناعتنا بضرورة انخراط الباحثين والعلماء في خدمة المجتمع وتوجيه البحث العلمي في المرحلة الآنية نحو المساهمة في حل المشكلات الاجتماعية.

. توجيه البحوث السوسيولوجية نحو مواضيع التهيئة العمرانية وتشجيع فتح تخصصات على مستوى الماستر في هذا الإطار.

. إشراك الاجتماعيون في التخطيط لمشاريع التنمية . بحيث تكثيف عمل رجال الشرطة غير مجدي بالدرجة ذاتها للعمل العلمي والثقافي .

. إشراك الشباب في العمل السياسي وتمكينهم من ممارسة السلطة.

المراجع والهوامش:

1- Kamel Rarrbo, L'Algérie et sa jeunesse, marginalisations sociales et désarroi culturel, ed, L'Harmattan, Paris, 1999

2- Lahouari Addi, Les mutations de la société algerienne,famille et lien social dans l'Algérie contemporaine, éd, la découverte, Paris, 1999

3- ibid. p 9.

4- ibid. p23.

5 . كريمة مكتاف "سوسيولوجية العنف المسلح " دراسة وصفية للجماعات الاسلامية المسلحة من سنة 1980 الى سنة 2002 رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2008.

6. محمد ساري ، الورم، منشورات الاختلاف ، ط 1 2002، الجزائر .

7 Olivier golland, sociologie de la jeunesse, ed armand colin ; 4 éme ed paris 2007